

بالفيديو: "لا صوت يعلو فوق صوت منظمة التحرير" .. "32 عاما على "انتفاضة الحجارة"



08 ديسمبر 2019 - 17:48

"لنستمر في الهجوم، لا صوت يعلو فوق صوت الانتفاضة، لا صوت يعلو فوق صوت منظمة التحرير الفلسطينية" .. بهذه الكلمات رسم الشهيد القائد خليل الوزير "أبو جهاد" برنامج الانتفاضة الفلسطينية الأولى، والمعروفة باسم "انتفاضة الحجارة"، والتي أشعلت الأرض نارا تحت أقدام المحتل في كل شبر وحرارة وشارع على أرض فلسطين.

أوعز "أبو جهاد" لمقاتلي حركة فتح في الأراضي الفلسطينية، بإشعال فتيل الانتفاضة، يوم الثامن من ديسمبر/كانون أول عام 1987، وجاءت الشرارة الأولى حين استشهد أربعة عمال فلسطينيين من مخيم جباليا للجناين شمالي قطاع غزة، جراء دهسهم من قبل مستوطن على حاجز بيت حانون، أثناء عودتهم من عملهم.

اعتبر الفلسطينيون حادثة دهس العمال "قتلاً متعمداً"، واندلعت احتجاجات عنيفة خلال تشييع جثامين الشهداء الأربعة، إذ ألقى المواطنون الحجارة على موقع لجيش الاحتلال في مخيم جباليا، ورد الجنود بإطلاق النار، ما أدى لإصابة العشرات من الفلسطينيين وارتقاء عدد من الشهداء.

وعلى الرغم من الاستنفار الإسرائيلي بعد اتساع رقعة المواجهات، إلا أن القيادات العسكرية حاولت التقليل من أهميتها وتوقعت انحسارها خلال فترة قصيرة، لكن ذلك لم يحصل، حيث كُسر حاجز الخوف في التعامل مع الجنود، وصعد عدد من الشبان بشكل غير مسبوق على حبيبات عسكرية، وجاب الطلبة شوارع غزة للتحرير على التظاهر وإعلان الإضراب العام.

اتساع الاحتجاجات

اتسعت الاحتجاجات وعمت جميع أنحاء قطاع غزة، قبل أن تصل للضفة الغربية والداخل المحتل، واستمرت بزخم مختلف طوال ست سنوات بمشاركة أكثر من نصف مليون فلسطيني.

وصاحبت الانتفاضة حركة عصيان مدني ومظاهرات متواصلة، وهو الأمر الذي استفز الاحتلال مرارا ودفع جنوده لخلع أقفال المتاجر، وإجبار أصحابها على العمل، وتولت قيادة المظاهرات مجموعة من الشباب الذين كانوا يرشقون جنود الاحتلال بالحجارة ويقومون حواجز من إطارات السيارات المشتعلة، ويحشدون الناس من خلال مكبرات

المساجد.

رفض غالبية الفلسطينيين، التوجه لأعمالهم خلال الأيام الأولى للانتفاضة، وأغلقت المحال التجارية وتعرضت الحياة العامة للشلل، كما نشأت لجان محلية داخل المخيمات عملت على تنظيم الغضب غير المسلح للشارع الفلسطيني ضد الاحتلال الإسرائيلي، وعملت هذه اللجان في البداية بشكل مستقل ولكن سرعان ما توحدت في هيئة تضم حركة فتح والجبهتين الشعبية والديمقراطية والحزب الشيوعي.

كما عرفت الانتفاضة ظاهرة جديدة أطلق عليها "حرب السكاكين"، إذ كان الفلسطينيون يهاجمون الجنود والمستوطنين الإسرائيليين بالسكاكين ويطعنونهم.

تكسير العظام

اتخذت حكومة الاحتلال، قرارات قاسية لقمع الانتفاضة وإنهاء حالة الغضب التي تسود الأراضي الفلسطينية.

وجندت سلطات الاحتلال أكثر من ثمانين ألف جندي لإخماد الانتفاضة، واستخدمت أسلوب "تكسير العظام" كوسيلة لقمع الانتفاضة، التي شجعها إسحاق رابين حين كان وزيراً للدفاع آنذاك.

وصلت الانتفاضة إلى أعلى مستوى لها في شهر فبراير/شباط 1988 عندما نشر مصور إسرائيلي صور جنود يكسرون أذرع فلسطينيين عزل باستخدام الحجارة في مدينة نابلس، بالضفة الغربية المحتلة.

فشلت إسرائيل في كبح جماح الفلسطينيين، الذين لم يعودوا يحتلمون احتلالاً يأكل أرضهم، ويقذف بأبنائهم في السجون، ويهدم منازلهم، ويقضي على حلمهم بالاستقلال والحرية، فقامت بحظر جميع رموز الحركة الوطنية الفلسطينية، كما حُظر العلم الفلسطيني، وحتى كلمة فلسطين، ومن يتظاهر حاملاً العلم، أو يعلق العلم في منزله يتعرض للسجن بتهمة تحدي السلطات.

عقوبات اقتصادية

لجأت سلطات الاحتلال إلى محاصرة الفلسطينيين اقتصادياً عبر العديد من المجالات، لعل أبرزها مصادرة مساحات واسعة من الأراضي بحجج عديدة؛ كإجراء عقابي للفلسطينيين وحرمانهم من مساحات كبيرة من الأراضي المنتجة زراعياً.

وصادرت إسرائيل، أموال الفلسطينيين وسرقت البضائع التجارية للتجار الذين يقدمون على الإضراب، بالإضافة إلى استخدام العملاء لحرق المحلات المساهمة في الانتفاضة، الأمر الذي ألحق خسائر جسيمة بحق آلاف التجار.

وأحرقت المساحات المزروعة في مئات القرى وخاصة في فترة المحاصيل الكبيرة كالقمح والزيتون، في خطوة أشبه بعملية التجويع، علاوة على قطع الأشجار المثمرة كالحمضيات واللوزيات.

كما فرض الاحتلال، حظر التجول وقيود حركة دخول العمال إلى الأراضي المحتلة عام 1948، من أجل خلق وضع اقتصادي صعب يدفع الفلسطينيين للتراجع عن الانتفاضة.

وأقدمت إسرائيل على هدم البيوت بحجج أمنية، وحولت العديد منها لنقاط عسكرية، وابتكرت أساليب جديدة لمنع الفلسطينيين من البناء وهدم البيوت بحجة عدم الترخيص.

الإجراءات القمعية الإسرائيلية، زادت من عنفوان الانتفاضة، إذ ازداد عدد الفلسطينيين المشاركين في المظاهرات، واشتعل حماس الشباب والشابات مع الأغاني الوطنية الشعبية المؤلفة خصيصاً للانتفاضة، لتقوم إسرائيل باعتقال عشرات الفنانين الفلسطينيين لمشاركتهم بأغانٍ مقطوعاتٍ موسيقيةٍ حول الانتفاضة.

الحل في "العملاء"

أمام الفشل الإسرائيلي في إخماد لهيب الانتفاضة، لجأت إسرائيل إلى استخدام العملاء والمتعاونين لملاحقة المتظاهرين، فخلال الانتفاضة الأولى قتل قرابة الـ800 فلسطيني لاتهامهم بالعمالة لإسرائيل، وكان العملاء يرشدون عن المقاومين وناشري البيانات ومن يقفون وراء جمع الفلسطينيين وتنظيمهم خلال الانتفاضة.

نهاية الانتفاضة

تؤرخ نهاية الانتفاضة الأولى بعام 1993 حين وقّعت في البيت الأبيض اتفاقية أوسلو بين منظمة التحرير الفلسطينية وحكومة الاحتلال، والتي بدأت معها المفاوضات العلنية المباشرة من أجل حكم ذاتي للفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة.

وتقدر حصيلة الضحايا الفلسطينيين الذين استشهدوا على أيدي قوات الاحتلال أثناء انتفاضة الحجارة بنحو 1162 شهيداً، بينهم نحو 241 طفلاً ونحو 90 ألف جريح، فضلاً عن تدمير ونسف 1228 منزلاً.